شرح

العقيدة الطحاوية

للإمام الشيخ

أبي جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي

- رحمه الله -

شرح فضيلة الشيخ

محمد النورستاني

- حفظه الله -

فهرس الدرس:

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد:

(المتن)

اللّهم اغفر لشيخنا وللحاضرين.

قال الإمام الطحاوي عليه رحمة الله: والرؤيةُ حق لأهلِ الجنة، بغيرِ إحاطةٍ ولا كيفيَّةٍ، كما نطقَ به كتابُ ربّنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وتفسيره على ما أراده اللهُ تعالى وعَلِمَه، وكلُّ ما جاء في ذلك منَ الحديث الصحيحِ عن الرسول صلى اللهُ عليهِ وسلم فهو كما قال ومعناهُ على ما أرادَ، لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا ولا متوهّمين بأهوائِنا، فإنَّه ما سلِم في دينه إلاَّ مَن سلَّم للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه صلى اللهُ عليهِ وسلم وردَّ عِلمَ ما اشتبَه عليه إلى عالِمه. ولا تثبتُ قدَمٌ في الإسلام إلا على ظَهر التسليمِ والاستسلام.

١- مقدمة:

(الشرح)

بسم الله الرحمن الرحيم، إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

٢- رؤية الله عز وجل يوم القيامة أعظم النعم على الإطلاق:

هذه المسألة التي بدأنا فيها هذه من أعظم مسائل أصول الدين، بل هي أعظم مسائله على الإطلاق وأشرفهم، وهي تتعلق برؤية الله عز وجل يوم القيامة، ورؤية الله عز وجل يوم القيامة هذه أعظم النعم على الإطلاق.

هذه النعمة أعظم النعم على الإطلاق، فكما ورد في الصحيح أن الله عز وجل سيقول لأهل الجنة: تريدون أن أزيدكم؟ يقول الراوي: سيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار، يقولون هذا لربهم، رب العالمين، قال: فيكشف الحجاب، فما أوتوا -معنى الحديث- نعمة أعظم من هذه النعمة، الجملة الأخيرة ذكرتها بالمعنى.

وفي بعض الروايات وهي الزيادة، فيها إشارة أن قول الله عز وجل أن أهل الجنة لهم الحسنى وزيادة، الحسنى هي الجنة، والزيادة هي رؤية رب العالمين.

إذن هذه النعمة هي أعظم النعم على الإطلاق، ولاشك أن عباداتنا وتقربنا إلى الله عز وجل كلها نتقرب بها إلى مَن لا نشرك في حبه أحدًا، فرؤية ذاته المقدسة، رؤيته بالعين الباصرة هذه نعمة لا يساويها أي نعمة.

وأي نعمة ادخرها الله عز وجل لمن آمن به، وسلَّم للوحي في كل شيء، من ذلك إيمانه بأن الله عز وجل يُرى يوم القيامة، فمَن أنكر هذه الرؤية فما أحراه أن يُحرم هذه النعمة العظيمة.

نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن نكون ممن ادخر الله عز وجل لهم رؤيته يوم القيامة.

٣- شرح قول المصنف: «والرؤيةُ حق لأهلِ الجنة»:

يقول المؤلف رحمه الله: «**والرؤيةُ حق لأهلِ الجنة**».

والرؤية؛ أي رؤية رب العالمين، الألف واللام هنا، والرؤية، الألف واللام هنا للعهد، بدل أن يقول: رؤية رب العالمين، قال: والرؤية؛ أي الرؤية التي يتحدث عنها من يكتب في العقيدة، أو الرؤية التي جاء ذكرها في النصوص، وهي رؤية رب العالمين، هي حق لأهل الجنة.

هنا قيَّدها الإمام الطحاوي لأهل الجنة، هل يريد أن يحسم في الخلاف في رؤية المنافقين لرب العالمين في العرصات، ورؤية الكفار أيضًا له، هل هذا القيد مقصود منه أو لا؟ الله أعلم.

٤- حكمُ مَن ينكر رؤية الله عز وجل يوم القيامة:

ولكنه ذكر مسألة ليس فيها خلاف البتة بين أهل السنة والجماعة، هذه المسألة: رؤية المؤمنين لرب العالمين في الجنة، هذه المسألة متفقٌ عليها بين أهل السنة، والأحاديث الواردة فيها متواترة، والآيات فيها أيضًا واضحة ونصوص صريحة.

فلذلك كان الأئمة يكفرون من ينكر الرؤية، قيل للإمام أحمد: أن فلانًا ينكر الرؤية، فقال: كافر، كافر، لماذا؟ لأن الأحاديث متواترة فيها، كما أن النصوص في الكتاب وصريحة فيها.

٥- هل يرى المنافقون والكفار ربهم في عرصات يوم القيامة؟

طبعًا رؤية المؤمنين في العرصات أيضًا مسألة متفق عليها أهل السنة، أنهم سيرون رب العالمين في عرصات القيامة، ولكن هناك خلاف في رؤية المنافقين في العرصات، والصحيح الذي عليه الأدلة من الأحاديث الصريحة؛ أن المنافقين أيضًا سيرونه في العرصات، وليس في الجنة؛ لأن مآلهم إلى النار.

ولكن رؤيتهم ستكون رؤية حساب وتقرير وتعريف، وليست رؤية إكرام ولذة ونعيم وسرور، هذه الرؤية هي خاصة لأهل الجنة في عرصات تكون لتطمينهم وفي الجنة أيضًا.

أما رؤية الكفار فالصحيح أنهم لا يرونه لا في عرصات، ولا في الجنة لأنهم لا يدخلون الجنة.

٦- شرح قول المصنف: «بغيرِ إحاطةٍ ولا كيفيَّةٍ»:

ثم قال: «**بغيرِ إحاطةٍ ولا كيفيَّةٍ**».

بغير إحاطة يشير الإمام الطحاوي فيها إلى قوله سبحانه: ﴿ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، لا تدركه؛ الإدراك هو الإحاطة، الإدراك هو رؤية وزيادة، مجرد الرؤية لا تُطلق عليها الإدراك، الإدراك يكون رؤية مع إحاطة.

الله عز وجل ذكر هذا تمدحًا، في معنى للتمدح، مدح نفسه بأنه لا تدركه الأبصار، ونحن ذكرنا أن من القواعد المهمة التي تميز منهج أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات: أن النفي المجرد لا يأتي في الكتاب والسنة، لا يكون هناك نفي مجرد جيء به للنفي، بل كل نفي في الكتاب والسنة يكون متضمنًا لإثبات كمال ضده، فالله عز وجل لا تدركه الأبصار، لماذا؟ لكمال سعته سبحانه، ولكمال علوه، ولكمال استغناءه عن خلقه.

وهذه الآية من الآيات التي يستدل بها أهل السنة لإثبات رؤية رب العالمين، وليس كما ذكر المعتزلة، حيث قالوا: لا تدركه الأبصار؛ أي لا تراه الأبصار.

على هذا لا يكون فيه مدحًا لله عز وجل؛ لأن المعدومات لا ترى وليس فيها أي مدح، والله عز وجل لا يتمدح، ولا يذكر شيئًا فيه معنى للتمدح إلا ما فيه إثبات لكماله، فليس فيها نفي مجرد، وإنما فيها نفي للإحاطة كما ذكر المؤلف هنا، وإثبات للرؤية، والرؤية لأهل الجنة.

<u>٧- هل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه في الدنيا؟</u>

في هذه المسألة أيضًا تجنب الإمام الطحاوي ذكر مسألة هي من المسائل المختلف فيها أهل السنة، رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في الدنيا، طبعًا هذه المسألة هي المسألة الوحيدة التي فيها خلاف بين أهل السنة في الرؤية البصرية في الدنيا، والخلاف فيها معروف، هناك روايات أن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى عليه وآله وسلم رأى ربه بعين رأسه، وفي بعض الروايات عنه رضي الله عنه، أنه رأى بعينه ليس بعين رأسه وإنما بقلبه.

والراجح فيها يتعلق به وبغيره، أنه لم يذهب أحدٌ إلى أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ربه بعين رأسه، وهذه المسألة شبه مجمع عليها بين أهل السنة والجماعة، ولذلك لما ذكر، سأل مسروق التابع المعروف، سأل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، قال لها: هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد كف شعري مما قلت، كف شعري؛ أي وقف، استشنعت هذا السؤال، مجرد السؤال، استشنعته واستعظمته جدًا، وهذا من تعظيم الصحابة لله عز وجل، ثم قالت: من حدثك بأن محمدًا رأى ربه فقد كذب، أي رأى ربه بالعين الباصرة، فهو قد كذب، أما رؤيته؛ رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لله عز وجل بعين قلبه، فهذا ثابت.

«**والرؤيةُ حق لأهلِ الجنة، بغيرِ إحاطةٍ ولا كيفيَّةٍ**»؛ كيفية الرؤية تابعة لكيفية معرفتنا للذات المقدسة، معرفة كيفيتنا عن الرؤية معرفة عن كيفية الرؤية تابعة لمعرفتنا لكيفية الذات المقدسة، وبما أن الله عز وجل لا نعرف كيفيته فكذلك جميع الصفات التي تتعلق به، وهذا لا يمنع أن تكون هناك كيفية لصفاته، ولكن نحن ننفي علمنا بالكيفية.

إذن رؤية الله عز وجل ستكون بغير إحاطة ولا كيفية، لاحظوا هنا أن الإمام الطحاوي أطلق هكذا: «**والرؤية حق لأهل الجنة**»، أطلق هكذا، لم يقيد الرؤية بالرؤية القلبية أو الرؤية البصرية؛ لأن كما قلت الألف واللام هنا للعهد، وهذه للإشارة إلى المسألة عمومًا، وللإشارة أيضًا إلى نوع الرؤية، يتحدث هنا عن رؤية الله عز وجل بالبصر، وهذه هي المسألة التي يختلف فيها الناس كما سأذكر.

٨- شرح قول المصنف: «كما نطقَ به كتابُ ربّنا»:

ثم قال: «**كما نطقَ به كتابُ ربّنا**»، هنا نسب النطق إلى الكتاب، وهذا استعمالًا عام، مع النطق هو الكلام القول لله عز وجل، ولكن يستعملون هذا لوجود نص صريح في الكتاب.

٩- شرح قول المصنف: «وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه»:

«كما نطقَ به كتابُ ربّنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٤]، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه».

هنا يريد أن يقول الإمام الطحاوي بعد أن أثبت الرؤية ونفى عنها الإحاطة والكيفية، بعد ذلك كله يقول: تفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه؛ أي ليس كما يصفه المبتدعة؛ لأن المبتدعة يأولون في ذلك كله، المعتزلة يقولون: النظر المراد به الانتظار هنا، والأشاعرة يقولون: الرؤية ستكون بغير جهة، الرؤية يرى الله عز وجل في جهة، وهذه كلها تأويلات تُخرج الرؤية عن كونها رؤية.

إذن وتفسيره على ما أراده الله وعلمه؛ التفسير على نوعين؛ التفسير الأول: المعنى الذي يعلمه السامع من ظاهر الكلام، وهي هنا رؤية رب العالمين بالعين الباصرة، وهذه هي التي يثبتها الله عز وجل للمؤمنين، والتفسير الثاني الذي يحيله المؤلف هنا إلى الله عز وجل: هو تفسير بالكيفية وتمام المعنى، بعد أن ذكر شارحًا أن رؤية الله عز وجل بغير إحاطة، وبغير كيفية نعلمها، دائمًا لما ننفي الكيفية ننفي علمنا بالكيفية، لا ننفي الكيفية.

بعد هذا كله يقول: «**إن تفسيره على ما أراده الله وعلمه**»؛ أي تفسيره بتمام المعنى وتفسيره الذي يستلزم العلم بالكيفية، هذا يعلمه الله عز وجل، أما التفسير الذي يكون بمعرفة المعنى الذي يعلمه السامع من ظاهر الكلام، هذا معلوم.

وهذا الذي لخصه شيخ الإسلام في قاعدة مستقلة في التدمرية: أن ما جاء في الكتاب والسنة في باب النصوص، في باب الأسماء والصفات، نعلمه من وجه ولا نعلمه من وجه، هناك جانب نعلمه إذا تدبرنا، بما أن هذا الجانب يمكننا أن نعلمه، فلذلك أمر الله عز وجل أن نتدبر في القرآن كله ولم يستثني منه شيئًا؛ لأن القرآن كله فيه جانب يمكننا أن نعلمه، ولم يستثني منه شيئًا، وذكر أن هناك جانب لا يمكننا أن نعلمه حتى ولو تدبرنا فيه، مما يدل على أن الخوض فيها لا يجوز.

وهذا الجانب هو الخوض في كيفيات صفات الله عز وجل، والخوض أيضًا في معرفة كيفيات المغيبات؛ التي أخبرنا الله عز وجل عنها مما يكون يوم القيامة مثلًا؛ لأن ما يكون يوم القيامة من النعم وغيرها هذه كيفيتها غير معلومة، فلا تعلم نفس ما أُخفيت له من القرة أعين، هذه الكيفيات لا نعلمها؛ لأن الموجودات في الآخرة لا تشترك مع موجودات الدنيا إلا في الأسماء، نعلم أن هناك عسل وهو غير اللبن، وجنس العسل موجود نعلمه، ونعلم أن هناك لبن وهو غير العسل، وجنس اللبن نعلمه، ولكن لا نعلم كيفيات تلك النعم، لا نعلمها.

إذن إذا أردنا بالتفصيل تفسير المعنى، وهذا علمناه، وهي رؤية رب العالمين بالعين الباصرة، وإذا أردنا الكيفية وأردنا الخوض فيها فهذا شيء لا يمكن أن نعلمه.

١٠- الأدلة على إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة:

«**وتفسيره على ما أراده اللهُ تعالى وعَلِمَه**»، والأدلة على إثبات الرؤية كثيرة منها هذه الآية: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) ﴾ [القيامة: ٢٢]، ستكون على البهاء والسرور والفرحة هذه الوجوه، لماذا؟ لأنها إلى ربها ناظرة.

هنا استدل أهل السنة بهذه الآية على إثبات رؤية رب العالمين، من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن التعدية هنا بإلى، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٤]، عُديت هنا، عدي النظر هنا بإلى، والنظر لما يُعد بإلى يكون نصًّا في الرؤية البصرية، هذا الوجه الأول، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٤].

الوجه الثاني: النظر هنا أُضيف إلى الوجه لأنه محل الرؤية، وجوه؛ هذا محل النظر، ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٤]؛ النظر هنا

أُضيف إلى ماذا؟ إلى الوجه لأنه محل الرؤية مما يدل على أن هذه الرؤية ليست رؤية قلبية التي هي زيادة العلم، بل هي رؤية بصرية.

الوجه الأخير أو الوجه الثالث، وأوجه الاستدلال كثيرة.

الوجه الثالث: أن النظرة والبهاء والسرور لا يكون بالانتظار كما يقول أهل البدع، المعتزلة يقولون: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٤]؛ أي لأنها تنتظر الفرج، لأن مَن ينتظر الفرج يكون لا يعلم عن حاله، يتوقع كل شيء، يتوقع أن يكردس في النار، ويتوقع أن يُذهب به إلى الجنة، ويتوقع كل شيء.

وهذا أصعب ما يكون على الإنسان وخاصة في ذلك الموقف الحرج، فهل هذا الانتظار يعني نعيم، هذا عذاب، وأشد من العذاب، إذن النضرة والبهاء والسرور والحضور لا يكون بهذا الانتظار، بل هذا كله يكون بالنظر إلى وجه رب العالمين.

الوجه الأول: التعدية بإلى، النظر إذا يعد بإلى يكون نصًّا في النظر بالبصر، الوجه الثاني: إضافة النظر إلى الوجه الذي هو محل الرؤية، الوجه الثالث: أن الفرح والسرور والبهاء لا يكون بالانتظار الذي لا تُعلم نتائجه بل يكون بنعمة عظيمة، وهذه هي النعمة العظيمة، وهي رؤية رب العالمين.

وأيضًا من الأدلة، الأدلة كثيرة أنا أردت أن أقرأ لكم من صحيح البخاري، يقول الإمام البخاري: بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣].

هذه الآية جعلها عنوانًا لبابه؛ لأنها صريحة في الرؤية البصرية، ثم ذكر حديث جرير رضي الله عنه، يقول: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآله وَسَلَّمَ إِذْ نَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ قَالَ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ**»؛ إنكم فيها تأكيد.

«كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ»؛ يشير إلى القمر، **«لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ»**؛ وردت لا تضامون بالتشديد وأيضًا بغير التشديد، إذا كان بالتشديد، هنا طبعًا شكله بضمن التاء، والذي أذكر أن إذا كان بالتشديد لا تَضامّون؛ لأن معناه لا ينضم بعضكم إلى بعض لأجل الزحمة، لأننا إذا أردنا نرى شيئًا هنا في الدنيا نتزاحم، وينضم بعضنا إلى بعض ونتضرر، أما إذا أردنا أن ننظر إلى القمر فهل يحصل هذا؟ لا، كل واحد يراه من مكانه لا يلحقه أي حرج، أما إذا كان بغير التشديد، فهو بضم التاء، لا تُضامون من الضيم، هو الضرر، لا تضامون أي لا يلحقكم أي ضيم وأي ضرر في رؤيته؛ لأنه لا يحتاج إلى أن يتزاحم بعضنا إلى بعض.

وهذا هو الذي أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يشرحه بهذا التشبيه؛ لأن التشبيه هنا تشبيه الرؤية بالرؤية، تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح وعدم لحوق الضرر، وليس هنا تشبيه المرئي بالمرئي، ليس هنا تشبيه المرئي وهو الله عز وجل بالمرئي الذي هو القمر، لا، هنا توضيح للرؤية وبيان أن هذه الرؤية ستكون واضحة، وبغير أي كلفة.

ثم قال: ثم ذكر النبي بعض الأسباب التي تُنال بها هذه الرؤية، تُنال بها هذه النعمة العظيمة، قال: **«فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا»**.

صلاة قبل طلوع الشمس؛ صلاة الفجر، وصلاة قبل غروب الشمس التي هي صلاة العصر، وردت أحاديث كثيرة تخص الفضل بخصوص هذين الصلاتين، **«مَن صلى البردين دخل الجنة»**؛ يعني هل تتوقع أن تنال هذه النعمة العظيمة وأنت بعد ما تسمع الآذان فكأن شيئًا لم يكن.

فهذه من الأسباب التي تُنال بها هذه النعمة العظيمة، **«فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاَةٍ قَبْلَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، فَافْعَلُوا»**.

أيضًا ذكر رواية أخرى فيها نفس الرواية بلفظٍ آخر: **«إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عِيَانًا»**، هذه كلها قرائن وأدلة على أن المراد بالرؤية هي الرؤية البصرية.

أيضًا في لفظ آخر: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا، لاَ تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»، كما ترون هذا؛ يقصد القمر.

أيضًا حديث آخر حديث أبي هريرة: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ سبحان الله أسئلة لو تُستعرض كلها تتعلق بنعيم الآخرة، أسئلتهم كانت هكذا.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟**»، أي من الضرر، هل يلحقكم الضرر في أن تروا القمر ليلة البدر؟ أوضح ما تكون؟ قالوا: لا يا رسول، قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ، لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**»، هل تتضررون في رؤيتها، قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ**».

والأحاديث هنا كثيرة ذكرها الإمام البخاري، ذكر أيضًا بعض الآثار وهي كثيرة جدًا.

١١- ضرورةُ عدم الخوض في كيفية رؤية الله عز وجل:

هنا أيضًا يلاحَظ أن الإمام الطحاوي قد جاء بجملٍ كثيرة ترفع بعض التوهمات التي تكون في هذا الباب، يعني كيف يمكن أن يُرى رب العالمين، يراه الإنسان بهذه القوى المحدودة، وهذا فعلًا سؤال في محله سؤال الصحابة، يعني كيف يمكن أن يُرى الله عز وجل.

فلذلك يؤكد هنا الإمام الطحاوي في هذه الجمل التي قرأناها والجمل التي ستأتي يؤكد فيها كلها أننا لا نخوض في كيفية رؤيتنا لله عز وجل، هذا الأمر ثبت في النصوص ونؤمن به، يعني كيف نرى ربنا يوم القيامة، فعلًا السؤال عجيب يعني؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما سُئل والحديث في صحيح مسلم، سئل: هل رأيت ربك؟ قال: «**نور أنى أراه**»؛ أي كيف يمكن أن أراه، استبعده، أيضًا في رواية أخرى: «**رأيت نورًا**».

أيضًا في قصة موسى عليه السلام، لما ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى

صَعِقًا ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هنا الله عز وجل أحاله إلى شيء يعلمه، والجبل جماد، لا مناسبة بينه وبين الإنسان الذي يتكون من دم ولحم وعظم، ولا شيء بالنسبة للجبل، فالله عز وجل أمره أن ينظر إلى الجبل، فلما تجلى رب العالمين الجبل جعله دكًا؛ يعني لم يستقر أن يستقر في مكانه، إذ تكا الجبل، وخر موسى صعقًا من رؤيته للجبل، فهل يمكن أن يتحمل رؤية رب العالمين؟ لا يمكن.

طيب، كيف يمكن مع هذا، كيف يمكن أن نراه يوم القيامة؟ يقول المؤلف هنا: وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وهو أعلم بما سيكون، ولذلك أخبرنا أن المؤمنين سيرونه: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣) ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

١٢- ردُّ الإمام الطحاوي على المجسمة والمعطلة في مسألة الرؤية:

وقوله: «**تفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه**» يرد فيه على طائفتين؛ الطائفة الأولى: المجسمة الذين قالوا: نراه كما نرى أي جسم، رد عليهم، وقال لهم: الرؤية هذه كيفيتها غير معلومة الآن، ورد أيضًا على المؤولة والمعطلة الذين قالوا: بما أن رؤية الله عز وجل تستلزم أن يكون في جهة، طبعًا نحن ستعب مع ترهاتهم هذه، قالوا: بما أن رؤية الله عز وجل تستلزم أن يكون هو في جهة، وليس هو في جهة؛ لأنهم لا يثبتون أن الله عز وجل عال على عرشه، فلذلك لا نثبت رؤيته، هذا مذهب المعتزلة.

فالمؤلف هنا يرد على الفريقين، تفسيره ليس على ما فهمه المجسم، وليس أيضًا على ما فهمه المعطلة، بل على ما أراده الله تعالى وعلمه، والله عز وجل أخفى عنا شيئًا وأخبرنا عن شيء؛ أخبرنا أنه سيُرى، ولم يخبرنا كيف سيُرى، إذن نحن نؤمن بما علمناه وفهمناه، ونؤمن أيضًا بما لم نعلمه.

والخلاصة أن الله عز وجل سيُرى، سيراه المؤمنون يوم القيامة، وهذه كما قلنا أعظم نعمة للمؤمن.

أيضًا من الأدلة قوله سبحانه: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥]، وكما ذكر الإمام الشافعي وغيره من الأئمة أن الكافر إذا كان يُعذب باحتجاب الله عز وجل، فمعناه أن المؤمن لا يُحجب عن الرؤية، ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ (١٥)﴾ [المطففين: ١٥]، هذا عذاب بالنسبة للكفار، والنعيم في مقابلهم للمؤمنين بأنهم سيرونه.

وهنا أيضًا كأن الإمام الطحاوي يرد هنا على مَن يقولون دائمًا نحمل هذا على هذا، وهذا على هذا، طبعًا هذا نجده عند أهل البدع، مثلًا نحن دائمًا نمثل بالاستواء، يقولون: بما أن الاستواء المعهود لا يمكن أن نثبته فنحمله على كذلك.

الإمام الطحاوي يقول: «**تفسيره على ما أراده الله تعالى**»، أنت لما تقول: أحمله على كذا، وأحمله على كذا، فتريد ماذا أنت؟ هذا الموضوع ذكره ابن أبي العز، وشرحه وأطال فيه؛ لأن أهل البدع لما يقولون: النظر هذه الآية فيها إثبات النظر إلى الله، والنظر إلى الله بمعنى توقع الرؤية لا يمكن، إذن ما الذي نثبته بما أن النص ورد هنا؟ فنحمله على كذا وكذا.

وهذا خطأ منهجي استمر عليه المتكلمون وجميع أهل البدع؛ لأن الكلام كلام أي قائل يُنظر فيه لنعلم مراده، وليس لتعلم مرادك منه، الفرق بين الأمرين، هذا كلام الله عز وجل: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

هذا كلام الله عز وجل، الذي يريد أن يفهم من هذا النص مراد الله عز وجل، فهذا سهل، ما الذي سيفعله؟ سينظر إلى نصوص أخرى أيضًا إذا استشكل، كما ذكر الإمام الطحاوي هنا، يقول: فإنَّه ما سلِم في دينه إلاَّ من سلَّم للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه صلى اللهُ عليهِ وسلم وردَّ عِلمَ ما اشتبَه عليه إلى عالِمه.

إذا علمت فآمن به، ما علمت رده إلى عالمه، فإذا أردت أن تعلم مراد الله عز وجل فهذا سهل، إن لم تفهم هنا فاجمع النصوص الأخرى الآيات الأخرى والأحاديث الواردة في هذا الباب، ستصل إلى النتيجة، وهذا الذي يجب أن يكون.

أما إذا أردت أن تثبت مرادك من هذه الآية، وهنا باب التأويل مفتوح، تجد المبتدع يقول: الاستواء المعهود لا يمكن أن نثبته لله عز وجل، والاستواء يأتي على خمسة عشر معنى، والمعنى الأليق هنا أن يكون بمعنى الاستيلاء، الأليق عندك ولا عند الله عز وجل ؟ أنت تريد أن تفهم مراد الله عز وجل، أو تريد أن تفهم مرادك من هذا النص، كما قلت هذا خطأ منهجي، تجده مضطردًا عند المبتدعة، وخاصة في باب الصفات.

يقولون بما أن النص ورد وفيه إثبات لكذا وكذا، والعقل يستحيل إثباته فنحمله على كذا، هذا ليس كلامك حتى تحمله أو لا تحمله، أنت حر في كلامك، تقول مثلًا: ترى هذا حجر، وإذا قيل لك: لا هذا كتاب وليس بحجر، تقول لهم: هذا اصطلاحي أنا، أنت حر في هذا، حتى ولو ارتكبت إيش، أنت حر، ستُرمى بما يليق بك، ولكن أنت حر في هذا.

ولكن كلام غيرك حتى ولو كان يعني مخلوقًا كلام أي واحد من الناس لا تتصرف فيه، لا تقول مثلًا: الشيخ الفلاني قال كذا، وكذا، وبما أن هذا لا يليق بذلك الشيخ أحمله على كذا وكذا، إذا كان كلامه واضحًا فلا يُؤول، لماذا؟ لأن الذي يؤوَّل لا يخطئ، لأن المعصوم هو النبي صلى الله عليه وآله وسلم، الشيخ قد يخطئ فلا تؤوِّل كلامه إذا كان واضحًا، أحمل كلامه على كذا وكذا، إذا كان محتملًا مترددًا بين معاني تأخذ منها أليقها بالشيخ، هذا محمول، أما إذا كان واضحًا، وتقول: لا، هذا الواضح لا يليق بالشيخ، أنا أحمله، لا ، لا، ليس الكلام لك، الكلام لفلان، واضح؟

إذن كلام الله عز وجل إذا أردت أن تفهم مراده منه فهذا سهل، أما إذا أردت أن تفهم مرادك منه، فهذا هو الذي ضيّع وخلّط في النصوص.

الشيخ هنا يقول: وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، لا على ما أردته أنت وعلمته، في تعريض واضح لكل من يأول في هذا الباب.

ثم قال: «**وكلُّ ما جاء في ذلك منَ الحديث الصحيحِ عن الرسول صلى اللهُ عليهِ وسلم فهو كمَا قال ومعناهُ على ما أرادَ**»، لا على ما يحمل عليه المبتدعة، أيضًا فيه تعليل ورد على المبتدعة، «**معناه على ما أراد هو**»؛ كأنه يقول للمعتزلة: وليس على ما أردته أنت.

لم يذكر الأحاديث هنا، والأحاديث كما قلت: أحاديث الرؤية متواترة، ولذلك كفر طائفة من السلف كفروا من أنكر الرؤية، مع أن أحاديث الرؤية متواترة، مع ذلك أنكرها المعتزلة، نحن يعني إذا أعذرناهم في تأويلهم هنا في الآيات، طبعًا في الأحاديث لا يمكنهم أن يؤولوا، كل هذه التأكيدات، كل هذه القرائن لتؤكد أن الرؤية بصرية.

١٣- المعتزلة وتواتر أحاديث الرؤية:

فماذا كان صنيعهم؟ قالوا: لا نسلم لكم أن أحاديث الرؤية متواترة، لماذا؟ لأن التواتر نحن اتفقنا معكم على شروط التواتر، ومن شروط التواتر أن يستوي في علمه الجاهل والعالم، هذا من شروط التواتر.

إذا كنت أوافقه على هذه الشروط، فأنا محجوج، حجته قائمة عليه، يمكنه أن يقول: لا أسلم لك على أنه متواتر، لماذا؟ لأني لست جاهلًا، ومع ذلك لم يحصل لي العلم اليقيني، مما يدل على أنه ليس متواتر، حتى وإن كنت جاهلًا.

نحن اتفقنا أن من شروط المتواتر أن يستوي في علمه أن يكون مفيدًا في العلم اليقيني، وأن يستوي في علمه الجاهل، مثل دائمًا يقولون هذا قياسه: إذا قيل: مكة موجودة، بغداد موجودة، الرياض موجودة، يستوي في حصول العلم في ذلك الجاهل والعالم، أليس كذلك؟ وعلى هذا يقيسون المتواتر وعليه بنوا كل ما ذكروه في المتواتر.

فلذلك نقول بعض هذه الشروط التي يذكرها أهل البدع كان الواجب ألا نحترمها من البداية، أنت تقعد لكلام النبي صلى الله عليه وسلم، الذي نقله الأئمة المعروفون

بديانتهم وثقتهم وصدقهم وتثبتهم والذين أفنوا أعمارهم في تتبع وجمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أنت تقعد ما يتعلق بهذا، بالقواعد التي أصلها أرسطو لكلام اليونان، ما يتعلق بالتواتر، أغلب ما فيه ما ذُكر في المنطق، ولذلك بعض هذه الشروط لا ينبغي أن نسلمها لأهل البدع؛ لأنك إذا سلمت لهم فأنت محجوج.

كلامه صحيح، ليش توافقه ثم تخالفه في التفريغ؟! لماذا توافقه في التأصيل ثم تخالفه في التفريع؟

هنا المعتزلي يقول: لم يحصل للعلم، وهب أني جاهل.. نحن اتفقنا أن المتواتر يحصل منه العلم اليقيني ويستوي في ذلك العالم والجاهل، هب أنني جاهل لم يحصل لي علم، ولذلك نقول: التواتر، الحكم بالتواتر يرجع إلى أهل العلم وإلى أصحاب التخصص الذين يميزون بين الأئمة وبين أئمة المحدثين وبين أئمة الكذب المعروفين؛ يميزون بين الدجالين وبين..

هذا المعتزلي لا يميز بين البخاري وبين أي كذّاب، لا يميز، وبعضهم يميز ولكن يقول: البخاري ليس معصومًا، كما سنقرأ في كتاب الفخر الرازي، الذين يدعون أنهم هم أهل السنة، يقول: البخاري ليس معصومًا، وبالتالي يمكن أن يكون الكذابون قد كذبوا وروجوا كذبهم عن طريق البخاري.. هؤلاء هم المدافعون عن السنة.

١٤- إلى مَن يرجع الحكم بالتواتر؟

فنحن نقول: أحاديث الرؤية متواترة، والحكم بالتواتر يرجع إلى المحدثين، وأي تواتر يشترك في تعريفه المنطق اليوناني والمتحدثون في المصطلح هذا من البداية فيه خلل.

ولذلك من النظريات القوية جدًّا أنا في رأي هذه هي النظرية الصحيحة في التواتر أن مرجع الحكم بالتواتر يكون إلى حصول العلم وإلى حصول اليقين، والحكم في ذلك يكون للمتخصصين.

نحن دائمًا نذكر هذا المثال: إذا روى الإمام ابن حبان حديثًا، تعرفون مَن ابن حبان، في رحلاته لطلب الحديث لم يترك بلدًا في ذلك الوقت إلا وذهب إليه، من أقصى الشرق الإسلامي في ذلك الوقت الذي هو الآن في أطراف كازخستان، هناك كانت ثغور المسلمين بعدها الترك، من ذلك إلى الإسكندرية، رحلته يعني سبحان الله أحيانًا يروي حديثًا واحدًا عن عشرة من المشايخ وهم أحدهم من الشام وأحدهم من اليمن وأحدهم من.. تستغرب سبحان الله جهد هؤلاء المحدثين..

ابن حبان يروي حديثًا عن شيخه الإمام ابن خزيمة، تشك في ذلك؟ الذي يعرف الإمامين لا يشك في ذلك، العلم اليقيني يحصل له، ابن خزيمة يروي الحديث عن شيخه الإمام البخاري، إمام عن إمام، الإمام البخاري يروي الحديث عن شيخه الإمام أحمد، ألا تلاحظون أن كل ما ذكرنا المشايخ يزيد العلم، طبعًا العلم اليقيني أيضًا يتفاوت مثل ما سأل إبراهيم عليه السلام ﴿لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]، هذا زيادة العلم.

الإمام البخاري يروي عن شيخه الإمام، الإمام أحمد يروي عن شيخه الإمام الشافعي، الإمام الشافعي يروي عن شيخه الإمام مالك، ما تدري يعني جبال كلهم، الإمام مالك يروي عن شيخه نافع، تابعي معروف، وهو يروي عن ابن عمر رضي الله عنهما، وهو يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم.. من أين سيدخلك الشك هنا؟

أما هذا المعتزلي العلام والنظام الذي طول عمره مع أرسطو وأفلاطون.. هذا ما يدري عن هؤلاء الأئمة.

إذن لا عبرة لا بشكه ولا بيقينه. أليس كذلك؟ ولذلك من الخطإ الذي فعلًا كانت له آثار خطيرة جدًّا، من الخطأ أن ننقل آراء الأصوليين المتكلمين ننقل آراءهم في مصطلح الحديث، هذا خطأ جدًّا.

باختصار شديد نقول: الأحاديث المروية في الرؤية متواترة، ومَن ينكر المتواتر حكمه أنه كافر، فلذلك كثير من الأئمة كانوا يكفرون مَن ينكر التواتر، هذا عمومًا، ولكن تنزيل الحكم على المعين تكون فيه الضوابط المعروفة لأهل السنة والجماعة.

«وكلُّ ما جاء في ذلك منَ الحديث الصحيحِ عن الرسول صلى اللهُ عليهِ وسلم فهو كمَا قال ومعناهُ على ما أرادَ».

ومعناه على ما أراد: هذا القيد في الأحاديث كما كان القيد السابق، وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، إرادة الله عز وجل وعلمه وتفسيره كما قلنا يعني شيء من هذا نعلمه وشيء من هذا لا نعلمه، الذي نعلمه إثبات رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة كما في هذه الآية، والذي لا نعلمه هي الكيفيات.

وهكذا هنا ذكر هذا القيد، ومعناه على ما أراد النبي صلى الله عليه وسلم، وليس على ما أرده المبتدعة، فإنهم يحملون الكلام -كلام الله عز وجل وكلام رسوله- على ما يريدونه هم.

وهذا كما قلتُ: خطأ منهجي، يكاد يتفق عليه أهل البدع بطوائفهم، دائمًا تجدهم يقولون: نحمله سبحان الله! نحمله، تتصرف في كلام مَن؟ الله عز وجل في سبع مواطن في القرآن يثبت الاستواء، أنتَ تخرجه إلى الاستيلاء؟! استوى بمعنى استولي؟! وتحمله.. الكلام ليس لكَ، إذا أنشأتَ كلامًا فأنت كما قلت حر في ذلك، أما الكلام الذي يكون لغيرك فالنظر فيه والبحث فيه يكون للوصول إلى مراد المتكلم وليس إلى مراد المخاطب أو الذي ينظر فيه.

ودائمًا أهل البدع هكذا، يبحثون عن مرادهم من خلال النصوص ولا يحرصون على مراد الله عز وجل ومراد النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن هذا الحرص له ما يحققه.

اشتبه عليك معنى من معاني آية من الآيات، انظر إلى الآيات الأخرى، وإلى الأحاديث التي تفسر الآيات ستصل، ما وصلتَ اسأل العلماء، أما أن تقول: نحمله على كذا، هذا

لستَ حريصًا على الوصول إلى مراد الله عز وجل، وإنما الذي يهمك مرادك من هذه النصوص.

طبعًا المسألة كما قلتُ: الإيمان بها يحتاج إلى الاستسلام للوحي، كيف يرى هذا المخلوق، كيف يرى رب العالمين؟ هذه المسألة تحتاج إلى الاستسلام للوحي، وأي تأويل وأي خوض وأي استرسال في ذلك خارج النصوص، لن يجيبك.

١٥- شرح قول المصنف: «لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا ولا متوهّمين بأهوائِنا»:

فلذلك نجد أن الإمام الطحاوي أطال في هذا، لم يكتفِ بما قال، فقال: «**لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا ولا متوهّمين بأهوائِنا**».

أهواؤنا وآراؤنا هل ستوصلنا إلى النتيجة في هذه الأمور المغيبيات؟ لا يمكن.

«**لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا**»، هذا الظاهر الذي فهمناه من النصوص، وهو الرؤية البصرية لا نخرج عن هذا الظاهر بتأويل، «**لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا**» لا نخرج منها بتأويل.

«**ولا متوهّمين بأهوائِنا**». إذن لا نتوهم بالأهواء أي لا نتوهم أن لرؤيتنا كيفية معينة لابد أن نفهمها، لا، لا يمكنك أن تصل إليها، ما الذي يجب عليك؟

«**فإنَّه ما سلِم في دينه إلاَّ من سلَّم للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه**» يجب عليك التسليم والاستسلام، أما إذا أردتَ أن تصل إلى حقيقة الرؤيا وإذا أردتَ أن تعرف حقيقة الرؤيا وكيفية الرؤية وكيف ستكون؟ لا يمكن أن تصل لهذا.

هنا نشير إلى مذاهب المخالفين ولو باختصار:

١٦- أهل السنة ورؤية الله عز وجل يوم القيامة:

مذهب أهل السنة هذا الذي وضحه الإمام الطحاوي، وما زال يذكر في مذهب أهل السنة أمورًا جدًّا تتعلق بالاستسلام المطلق للوحي؛ لأن المسألة غيبية بحتة ﴿الم (١) ذَلِكَ

الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢)﴾ [البقرة: ١، ٢]، مَن هم؟ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] هذه أول صفة لهم ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

والإيمان هو اليقين الجازم ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، الغيب: الألف واللام هنا للاستغراق، جميع مسائل الغيب التي نتلقاها من الكتاب والسنة يؤمنون به.

وعلى تعبير المؤلف هنا «**لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا ولا متوهّمين بأهوائِنا**»؛ لأن الذي تظنه علمًا في هذا الباب إذا خضت فيه فهو وهم، هو مجرد وهم وأنتَ تظنه علمًا.

«**ولا متوهّمين بأهوائِنا**» كل ما كان خارجًا عن نطاق النصوص فإن هذا وهم مجرد ولو ظننته علمًا، «**لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا**» رأيك مقابل النصوص ما قيمته؟! وهمك مقابل الاستسلام، كل ما توهمتَ ابتعدتَ عن النصوص ولن تصل إلى النتيجة، والنتيجة هي أن تؤمن بالنصوص.

ما هو المطلوب منك؟ المطلوب منك أن تؤمن؛ لأن النصوص فيها خبر وفيها طلب، المطلوب فيما فيه طلب هو الامتثال، والمطلوب فيما فيه خبر هو التصديق.

مذهب أهل السنة هذا الذي يوضحه الإمام الطحاوي رحمه الله، ويقابل مذهب الجهمية والمعتزلة.

١٧- المعتزلةُ والجهمية وسببُ إنكارهم لرؤية الله عز وجل يوم القيامة:

الجهمية والمعتزلة ينكرون الرؤية، ويقولون: المراد بالرؤية -على التسليم بالنصوص- هو زيادة العلم وليس الرؤية البصرية.

لماذا؟

اعتمادهم طبعًا على تخرصات، دائمًا هم يعتمدون على أصول يظنونها أدلة وهي تكون ظنونًا ثم يبحثون في الكتاب والسنة ما قد يشغلك عنه، وإلا الأدلة التي سأذكرها لهم ليست هذه هي عمدتهم في النفي، هم يقولون: الرؤية تستلزم أن يكون الله عز وجل في

جهة، وهو ليس في جهة على تعبير بعضهم: ليس في مكان، وعلى تعبير بعضهم: لا فوق، ولا تحت، ولا يمين، ولا يسار. والرؤية تستلزم أن يكون في جهة؛ لأن رؤية ما ليس في جهة غير معقول.

ولذلك يقولون: ننكر الرؤية رأسًا، والمراد بها ورد في النصوص هو زيادة العلم؛ لأن الرؤية إدراك بالبصر، ولما ترى شيئًا تعلمه، لما تسمع شيئًا تعلمه، ثم لما تراه يزيد علمك، أليس كذلك؟ فالمراد بالرؤية زيادة العلم. هذا مذهب.

١٨- الكُلَّابية ورؤية الله عز وجل يوم القيامة:

ومذهب الكلابية ذكرنا سابقًا أننا كلما جئنا للكلابية فلنتوقع غموضًا ما، الكلابية قالوا -أنا أتحدث عن الكلابية الأوائل، الكلابية الأوائل هم الكلابية وأوائل الأشاعرة وأوائل الماتريدية- هم يقولون: نؤمن بالرؤية ويردون على المعتزلة ردودًا عنيفة جدًّا، يقولون: من سخافات المعتزلة أنهم لا يؤمنون بالرؤية مع أن الأحاديث في ذلك متواترة، يذكرون هذا، وهذا مما يُحسب لهم، ولكنهم يقولون: نحن نثبت رؤية بلا جهة.

وهذا تضييع للمسألة برمتها، كيف يمكن أن ترى بلا جهة؟! قالوا: هكذا. طبعًا بالنسبة لأوائلهم أنا أستغرب لماذا استشكلوا؛ لأنهم يثبتون العلو، فكل مَن يثبت العلو إثبات الرؤية البصرية بالنسبة له لا إشكال في ذلك، ولذلك بالنسبة لأوائلهم أنا متأكد أنهم يقيدون الرؤية بالرؤية البصرية، ولستُ متأكدًا بالنسبة لَمن يثبت العلو هل هم أيضًا يقولون: رؤية بلا جهة، لستُ متأكدًا، ولكن أنا متأكد أن أوائهم يزيدون هذا القيد، كلهم؛ أن الرؤية بالبصر، رؤية بصرية.

ومَن لا يثبت منهم العلو، هو الذي يقول: رؤية بلا جهة.

طبعًا الآن هذه مسألة عندهم مسألة شبه متفق عليها، كلهم يقولون: رؤية بلا جهة، هذا أوائهم.

بالتدريج نجد أن كلمة بالبصر ـ أو الرؤية البصرية نجد أنها تختفي، يكتفون بإثبات الرؤية، ونجد أن المتأخرين من بعد الجويني هذا القيد الذي به تكون الرؤية رؤية، هذا القيد يختفي.

ولما نأتي للمتأخرين من بعد الرازي والآمدي هنا يتفقون مع المعتزلة ويصرحون بأن الرؤية ليست بصرية، وهم دائمًا أوائلهم يستسلمون للقواعد مع ذلك هم أقرب للسنة فيكون أصله في وادٍ وقوله في واد، المتأخرون لما ينظرون إلى اختلاف الأقوال من الأصول يلحقها بالأصول فيكون مثل المعتزلة، وهذا الذي كان من الجويني، الجويني قرّب المذهب الأشعري إلى الاعتزال، ومن عنده بدأ نفي الصفات الخبرية: العلو، وبقية الصفات؛ صفة اليد وصفة القدم، هذه كلها أنكروها.

فأولًا: أوائلهم يقولون أو مَن لا يثبت العلو هذه النقطة يجب أن أتأكد منها وإن شاء الله أو بعضكم أيضًا يشاركني في ذلك، المذهب عندهم كل مَن لا يثبت العلو يقول بإثبات رؤيةٍ بلا جهة، والمتأخرون صرّحوا بأن الرؤية ليست بصرية، بل المراد بالرؤية الزيادة في العلم.

ولذلك أحدهم قال هذا الذي سمعناه في الحديث: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر**». قال: المراد بهذا الحديث توضيح الفرق الذي يكون قبل الرؤية وبعد الرؤية، فمثلًا أنتَ الآن هنا في الخيمة وتتصور القمر، كل يوم تراه، تتصور القمر علمك يقيني بشكله.. هذا علم، تخرج من هنا وتنظر إليه هذا علم، هذا علم وهذا علم، ولا شك أن بين العلمين تفاوت، أليس كذلك؟

يقول: هذا التفاوت إليه يشير النبي صلى الله عليه وسم أن زيادة العلم بالله عز وجل الزيادة التي ستكون عندكم مثلها مثل زيادة العلم مع رؤية القمر.

سبحان الله! هذه ما أدري إيش أقول؟ كما يقول ابن القيم رحمه الله: لا عزاء للنصوص، الإمام ابن القيم رحمه الله يصوِّر النصوص في معدة المتكلمين، هذا يقول:

اذهب إلى هناك، هذا يقول: اذهب إلى هناك.. في الأخير كلهم يقولون: اذهب إلى المجسمة، لا طريق لكِ إلينا إلا بالمجاز أو بالتأويل أو بالتخييل، أما أنتِ على حالكِ المجسم، والحشوي هو الذي سيستقبلكِ.

هذا التأويل بعيد، وهذا التأويل غريب، لا ما يفكرون في هذا، سبحان الله! أيضًا نحن نتلاعب بكلام مَن؟ واللهُ أعلم.

المراد هنا إظهار هذا التفاوت.. سبحان الله! هذا كلامُ مَن؟ يدعي أنه هو أهل السنة، وليس ذلك..

يقول: «**لا ندخلُ في ذلك متأوّلينَ بآرائِنا ولا متوهّمين بأهوائِنا**» ثم ذكر في الأخير الذي يجب عليك، لا تفعل هذا ولا تفعل هذا، ما الذي يجب عليك؟ «**فإنَّه ما سلِم في دينه**»، طبعًا الكتاب في العقيدة هنا ذكر دِينه ليشمل العقائد والأحكام «**ما سلِم في دينه إلاَّ من سلَّم للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه**» التسليم المطلق للوحي واعتقاد أن أقوى الأدلة وأن البراهين وأن اليقينيات هي الوحي، هذا الذي تسلم به دائمًا.

أما أن تنهش النصوص بشيء من التأويل، بشيء من التوهم، بشيء من المجاز، بشيء من التخييل، لا يسلم لكَ دينك «**فإنَّه ما سلِم في دينه إلاَّ من سلَّم للهِ عزَّ وجلَّ ولرسولِه**».

وهذه قاعدة عظيمة جدًّا أشار إليها الإمام الطحاوي، سنفصلها إن شاء الله في درسٍ قادم، نكتفي بهذا القدر، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

١٩- أسئلةٌ يجيب عنها الشيخ:

جزى الله شيخنا على ما قال.

سائل يقول: أحسن الله إليكم، الرؤية المنامية هل تثبت؟ وهل فيها خلاف بين أهل السنة؟

الشيخ:

رؤيته هو رؤية الذات المقدسة؟

الطالب: أي نعم.

الشيخ:

لا، لا.

الطالب:

يقول: هل هناك خلاف بين أهل السنة؟ هو يقصد عموم الرؤية رؤية الله في المنام يا شيخنا؟

الشيخ:

يعني يرى اللهَ عز وجل في المنام؟ طبعًا هذا ما أذكر أن أحدًا من أهل السنة يقول به.

الطالب:

يقول: يا شيخ، لو أحلتم القول في الحكم والمرجع في المتواتر، وهل أهل السنة متفقين على ما نقلتم؟

الشيخ:

ما ذكرته من بعض الشروط للأسف نجدها في كتب المصطلح؛ أنه يشترك في العلم بالمتواتر يشترك في ذلك العالم والجاهل، وهذا لا يكون حتى في القرآن، وأيضًا حتى في القرآن لابد أن تبين للجاهل أن هذا كلامه عز وجل، وكلام الله هو الصدق.

وأيضًا ما يقولون: إن العلم بالمتواتر هو العلم البدهي واليقيني، وليس علمًا نظريًّا، حتى هذا لا يتوفر حتى في القرآن، أنتَ لما تقرأ آيات على أي جاهل قد يشك، تقول له: هذا كلام الله عز وجل، فمجرد أن تستدل العلم يخرج من كونه بدهيًّا إلى كونه نظريًّا، فبعض هذه الشروط واللهُ أعلم فيها استسلام للمتكلمين، واللهُ أعلم.